المساجد وأهميتها فى نشر الدعوة

إعداد الدكتور أحمد عبدالرحيم السايح
مدرس العقيدة بكلية أصول الدين منوفية

هناك معاهد ومواطن تشع وتفيض وليست هذه المعاهد سوى بيوت الله تعالى التى تمثل مراكز الإشعاع فى أرض الله ، ومصادر العطاء الروحى و النفسى ، ومعالم انضباط الذات ، وصدق السلوك ، والتزام المنهج فى كل شئون الحياة ومظاهرها .

إن بيوت الله فى الأرض أشرف البقاع عند المسلمين ، وأقربها إلى النفوس وأروحها على القلوب . . وعن جبير بن مطعم - رضى الله عنه - أن رجلا قال يارسول الله : أى البلدان أحب إلى الله ، وأى البلدان أبغض - إلى الله ؟ قال : لا أدرى حتى أسأل جبريل عليه السلام . فأتاه فأخبره جبريل « إن أحب البقاع إلى الله المساجد ، وأن أبغض البقاع إلى الله الأسواق »(١)تلك البيوت والتى هى أشرف البقاع يتعرف فيها الانسان على ربه ، ويقف فيها على واجبه ووظيفته. .قال تعالى ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ (٢)والمساجد جمع مسجد والمسجد لغة :اسم لمكان السجود ، وشرعا كل موضع من الأرض . .«٣» لقوله صلى الله عليه وسلم - « جعلت لى الأرض مسجدا »(٤) وهذا من خصائص هذه الأمة ، لأن من كان قبلنا كانوالايصلون إلا فى موضع يتيقنون طهارته ، ونحن خصصنا بجواز الصلاة فى جميع الأرض إلا ماتيقنا نجاسته «٥» ولما كان السجود أشرف أفعال الصلاة لقرب العبد من ربه : اشتق اسم المكان منه فقيل مسجد ولم يقولوا مركع ثم إن العرف خصص المسجد بالمكان المهيأ للصلوات الخمس . ثم أصبحت كلمة « الجامع » نعتا لمسجد وإنما خصت بذلك : لأنه علامة على الاجتماع ، وماكانوا فى الصدر الأول يفردون كلمة « الجامع » . . وإنما كانوا تارة يقتصرون على كلمة « المسجد » وطورا يصفونها فيقولون « المسجد الجامع » وآونة يضيفون إلى الصفة فيقولون : « مسجد الجامع » ثم تجوز الناس بعد واقتصراوا على

---

١ - رواه أحمد والبزار واللفظ له وأبويعلى والحاكم وقال صحيح الاسناد

٢ - سورة الجن الآية رقم ١٨

٣ - الزركشى اعلام الساجد باحكام المساجد ص ٢٦ ، ٢٧

٤ - جزء من حديث أخرجه البخارى عن جابر فى باب التيمم جـ١ ص ٢٣٢ ط المجلس الأعلى للشئون الاسلامية

٥ - المزركش إعلام الساجد باحكام المساجد ص ٢٧

الصفة فقالوا : المسجد الكبير ، والذى تصلى فيه الجمعة ، وان كان صغيرا « الجامع لأنه يجمع الناس لوقت معلوم »(٦) .

ولقد اهتم الإسلام ببناء المساجد ، وحث المسلمين على إقامتها فى الأرض وذلك لما لبناء المساجد من مقاصد عليا ، وغايات سامية ، كلها تتجه إلى نصرة الدين وإعلاء كلمته ، وحفظ الدعوة ، وإظهار عزتها .

قال تعالى : ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾ (٧) والمراد بالبيوت هنا المساجد . وقيل « المساجد بيوت الله تضىء لأهل السماء كما تضىء النجوم لأهل الأرض »(٨) .

وفى صحيح مسلم أن عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ أراد بناء المسجد . فكره الناس ذلك ، وأحبوا أن يدعه على هيئته ، فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : **« من بنى مسجدا لله بنى الله له بيتا فى الجنة مثله »**(٩) وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : أمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ببناء المساجد مع الدور . وأن تنظف وتطيب(١٠) .

وعن جابر ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ قال : « من بنى لله مسجدا كمفحص قطاة أو أصغر بنى الله له بيتا فى الجنة »(١١) .

ولما كانت نظرة الإسلام إلى الحياة عامة « وشاملة » من حيث اعتبارها محرابا واسعا ، يعبد الله فى كل أرجائه . كانت بيوت الله فى الأرض مصدرا طبيعيا لكل مناشط الحياة الصحيحة البناءة .

وبهذا شملت رسالة المسجد إلى جوار العبادة والصلاة : الجهاد ، والقضاء ، والنشاط الاجتماعى والسياسى وغير ذلك من أفعال الخير فهى مثوى عباد الله الصالحين

---

٦ ـ لجنة من العلماء دعوة التقريب ص ٣٧٣ ط المجلس الأعلى للشئون الاسلامية

٧ ـ سورة النور الآية رقم ٣٦

٨ ـ أخرجه فى مجمع الزوائد عن ابن حبان . وقال : رواه الطبرانى فى الكبير ورجاله موثقون مجمع الزوائد للهيثمى جـ ٧ ص٢

٩ ـ صحيح مسلم

١٠ ـ أخرجه ابن ماجة والترمذى

١١ ـ أخرجه ابن ماجة فى سننه باسناد صحيح من حديث جابر

فى الأرض ، فيها يصل لمسلم حباله بحبال السماء ويزكى نفسه ، ويسمو بروحه حتى تصل إلى معارج القدس .

وهى مصحة للأبدان كما هى مصحة للأرواح ، فلابد لمن يغشاها مصليا وقارئا للقرآن وذاكرا أن يتطهر من الأحداث والأنجاس فى الجسد والثوب .قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ ﴾(١٢) فقوله : « ليطهركم » يشمل طهارة ظاهر البدن بالماء ، وطهارة الباطن من الذنوب والخطايا والمساجد أيضا منازل طهر ، ونظافة ، وتجمل(١٣) ، وفى حديث الأعرابى الذى بال فى المسجد . وكاد الصحابة أن يتناولوه بالأذى ، فمنعهم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم قال له « **إن هذه المساجد لاتصلح لشىء من هذا البول ، ولا القذر . إنما هى لذكر الله ـ عز وجل ، والصلاة ، وقراءة القرآن** »(١٤) **ولما كانت الصلاة تتطلب طهارة ونقاء ، وليس أطهر فى الأرض من المساجد ، فقد أمر رب العزة ـ جل وعلا ـ أن تتخذ مكانا للصلاة ، فلا يخرج المسلم منها بدون صلاة حضر وقتها إلا لعذر** . قال تعالى : ﴿ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ ﴿٢٩﴾ ﴾(١٥) . أى توجهوا إليه فى كل صلاة إلى القبلة فى أى مسجدكنتم ووحدوه ولاتشركوا به(١٦) .

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إذا كنتم فى المسجد فنودى بالصلاة ، فلا يخرج أحدكم حتى يصلى »(١٧) وعن أبى

---

١٢ ـ سورة المائدة الآية رقم ٦

١٣ ـ الحافظ ابى الفرج اختيار الملأ الأعلى ص ١٠ ط ادارة الطباعة المنيرية

١٤ ـ رواه مسلم

١٥ ـ سورة الأعراف . الآية رقم ٢٩

١٦ ـ القرطبى تفسير القرآن الجامع لأحكام القرآن جـ٧ ص ١٨٨ ط الأميرية

١٧ ـ رواه أحمد فى مسنده

الشعثاء قال : خرج رجل من المسجد بعدما أذن فيه . فقال أبوهريرة أما هذا فقد عصى أبا القاسم ـ صلى الله عليه وسلم(١٨) .

يقول الإمام الشوكانى : والحديثان يدلان على تحريم الخروج من المسجد بعد سماع الأذان لغير الوضوء ، وقضاء الحاجة ، وماتدعو الضرورة إليه ، حتى يصلى فيه تلك الصلاة ، لأن ذلك المسجد قد تعين لتلك الصلاة(١٩) .

فالوظيفة الأولى للمساجد هى أنها أماكن عبادة فيها يؤدى المسلمون صلواتها وجمعهم أو جماعاتهم ، ويقرأون القرآن ، ويذكرون الله ، وصدق الله : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ﴾(٢٠) .

وعمارة المساجد لها معنيان ـ كما يقول العلماء ـ وكلاهما مقصود : المعنى الأول : تشييدها وإقامتها وبنيانها .

والمعنى الثانى : عمارتها بالعبادة والاجتماع فيها ، وبقراءة القرآن . والذكر ، والاعتكاف ، ونحو ذلك وهذا المعنى هو الأهم فى العمارة ، فقد كانت المساجد فى صدر الاسلام فى غاية البساطة والسماحة . ومع ذلك فقد كانت عامرة بالإيمان والمؤمنين ، وساهمت مساهمة جادة فى تكوين أعظم أمة ، وخير أمة عرفها التاريخ .

وإذا كان المسجد أفضل مكان للصلاة والاعتكاف . فهو أيضا أفضل مكان لمدارسة القرآن ، وتعليم أحكام الله ، وسنة نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأن الوافد إليه ، مقبل على الله بقلبه وجميع جوارحه .

فعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ قال : **« مااجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده »**(٢١)

---

١٨ ـ رواه الجماعة الا البخارى
١٩ ـ الشوكانى نيل الأطار جـ٢ ص ١٦٥
٢٠ ـ سورة التوبة . الآية رقم ١٨
٢١ ـ رواه مسلم وأبوداود وغيرهما « الترغيب والترهيب جـ٢ ص ٣٤٣ »

وفى الحديث ، فضل الاجتماع على تلاوة القرآن حتى بالمسجد (٢٢) وعن عقبة بن عامر ـ رضى الله عنه ـ قال : « خرج علينا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونحن فى الصفة . فقال : « **أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو إلى العقيق . فيأتى منه بناقتين كوماوين فى غير أثم ولا قطيعة رحم** » ؟ فقلنا يارسول الله كلنا نحب ذلك . . قال : « أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيتعلم أو فيقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل ، خير له من ناقتين ، وثلاث ، وأربع ، خير له من أربع ، ومن إعدادهن من الإبل »(٢٣) وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أنه مر بسوق المدينة . فوقف عليها . فقال : ياأهل السوق ماأعجزكم ؟ قالوا : وماذاك ياأباهريرة ؟ قال : ذاك ميراث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقسم وأنتم ههنا . ألاتذهبون فتأخذون نصيبكم منه . قالوا : وأين هو . قال : فى المسجد . فخرجوا سراعا . ووقف أبوهريرة لهم حتى رجعوا . فقال لهم : مالكم ؟ فقالوا : ياأبا هريرة قد أتينا المسجد فدخلنا فيه ، فلم نر فيه شيئا يقسم . فقال لهم أبوهريرة رأيتم فى المسجد أحدا ؟ قالوا : بلى رأينا قوما يصلون . وقوما يقرءون القرآن . وقوما يذكرون الحلال والحرام . فقال لهم أبوهريرة ويحكم ، فذاك ميراث محمد ـ صلى الله عليه وسلم »(٢٤) .

ومن الحرمين الشريفين ، ومن مساجد بغداد والشام ، ومساجد صنعاء ، ومن مساجد الفسطاط والأزهر بمصر ، ومن مساجد تونس وجامع الزيتونة ومن مساجد المغرب ، وجامع القرويين . تخرج ألوف الألوف فى علوم التفسير ، والحديث ، والفقه ، والأصول ، واللغة ، والأدب ، والتاريخ ، والفلك ، والطب ، والهندسة ، والرياضيات ، وشتى ألوان المعرفة والعلوم حتى زخرت الحضارة الإسلامية ، بما لم تزخر به حضارة قط . إن المساجد فى الاسلام مؤسسات حضارية تقوم بأداء مهمتها بنجاح فى الإعلام بشئون الدعوة ، إنها إعلام كامل بالدين الإسلامى ، ومافيه من نظم ، وتعاليم ، وآداب واذا كانت الصلاة وهى معراج المسلمين فرضا بنص القرآن الكريم والسنة ، وأجمعت عليها الأمة ، فإن صلاة الجمعة أيضا شعيرة فرضها الله على عباده ، وتعبدهم بها ، ونص عليها ، وماحتفى الله بالعبادة فى يوم فى القرآن كما أحتفى بها فى يوم الجمعة ، تنويها به وتكريما للمؤمنين ، حيث إنه جعله يوم عيد أسبوعى لهم ، فيه يجتمعون وكان من مغزاه استشعار عظمة الله وجلاله وهيبته ، ولقد حرص الإسلام على نبذ مايؤدى المسلمين إلى التفرقة فى الصفوف وإلى الاختلاف فى الكلمة ، وإلى شق عصا

---

٢٢ ـ المناوى فيض القدير جـ٥ ص ٤٠٩

٢٣ ـ رواه مسلم وقوله : « بطحان : موضع بالمدينة وكوماوين مفرد كوما وهى النقاة العظيمة السنام

٢٤ ـ رواه الطبران فى الأوسط بإسناد حسن « الترغيب والترهيب » جـ١ ص ١٠٣

الجامعة ، كما حرص على بث روح المحبة والمودة ، ومايقوى روابط الألفة ، وينمى أواصر القرب بين الناس ، ومن هنا أمر الإسلام بالألفة ، ودعا إلى الجامعة فى الصلوات ، وحث عليها وعلى التبكير لها ، واعتبر ذلك طريق الخير والفلاح . لذا ترى أنه يدعو إلى السعى إلى الجمعة ويخصها بالنداء فى القرآن الكريم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(٢٥) .

ومن هذه الاجتماعات يتعلم المسلم كيف يكون النظام ؟ وكيف تكون العناية بالطابع الاسلامى قلبا وقالبا فى باب الاجتماع والعلاقات الإنسانية ، وكيف يروض عليه المسلمون من خلال هذه الاجتماعات حتى تكون انعكاساته واشعاعاته على الحركة اليومية ، والحياة العامة إلى غير ذلك من الأمور التى لاغنى عنها لمجتمع حضارى .

ولما كان المسلم الصادق ، والمؤمن الحق ، حريصا على أن يكون بصيرا بأمور دينه ومبادىء شريعته ، كما أنه حريص على أن يكون متحققا من تمام إيمانه ، واستقامة أمره ، واستواء سلوكه ، وصحة عبادته ، فإن خطبة الجمعة كل أسبوع . . يجد فيها مايرشده إلى أقوم الطريق ، ويهديه إلى سواء السبيل . . وبهذا ينطلق المسلم ليقوم ماانحرف من سلوكه ، ويعدل ماأعوج من أخلاقه .

ولقد وعى السلف الصالح وضع المساجد فى حياة المسلمين . فكانت القلب النابض . والعقل المفكر ، والضمير الوازع .

لقد كان المسجد فى عهد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يركز التوجيه والاشعاع الفكرى والخلقى والتربوى والاجتماعى .

ففى المسجد علم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أصحابه القرآن والسنة . وكان المسجد بذلك معهدا للعلم ، وحسبك أن يكون صحابة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من خريجى المسجد ، والداعين فيه إلى الله .

وحسبك أن تعرف أنه فى عصور الخلفاء الراشدين والتابعين وتابعى التابعين ، وفى عصور ازدهار الحضارة الإسلامية ، كان المسجد منطلقا يشع بالعلم والنور ، والمعهد الذى يضم طلاب التفسير والحديث والأدب ومختلف العلوم .

وإذا أردت أن تبحث فى تراث المسلمين فسوف تجد أنه يرتبط بالمسجد وفى المسجد نما وترعرع .

ولازالت المساجد فى إمكانها أن تقوم بدورها فى تبليغ الدعوة وتصحيح المفاهيم .

---

٢٥ ـ سورة الجمعة الآية رقم ٩